

سُورَةُ الْكَهْفِ

التعريف العام بالسورة:

تُعدُّ سورة الكهف من السُّورِ المَكِّيَّةِ التي نزلت قبل الهجرة النَّبَوِيَّةِ، وعند تتبُّع كُتُب التَّفْسِيرِ القديمة والحديثة نجد بعض اختلافٍ في النُّقل عنهم بين من جعلها مَكِّيَّةً باتِّفاق، وبَيْنَ من استثنى بعض آيات عَدَّها مَدَنِيَّةً⁽¹⁾.

الأصحَّ أنَّ سورة
الكهف كُلُّها
مَكِّيَّة

والشَّيء الملاحظ أنَّ آيات السُّورة مُتوازنة، وليس بين فصولها تغاير أسلوبِي بالرَّغم من تنوُّعها، وهذا وذاك معاً ممَّا يُبرِّر القول بأنَّها نزلت مُتتابعة حتَّى تَمَّت⁽²⁾ فالذي تطمئنُّ إليه النَّفس أنَّ سورة الكهف مَكِّيَّةٌ كُلُّها⁽³⁾، والفترة الزَّمنيَّة التي نزلت فيها هذه السُّورة يبدو أنَّها من أواخر العهد المَكِّي؛ فهي مُتأخِّرة النُّزول⁽⁴⁾، وهي فترة حافلة قد تراكمت فيها أحداث جسام عاشها المسلمون في مَكَّة المُكرَّمة، حيث نزلت بعد فترة طويلة من حياة المسلمين بها، وبعد مُدَّة مُعاناة واضطهاد لقي فيها النَّبي ﷺ والمسلمون ما لا قوَّة وتقلَّبت عليهم فيها أحوالٌ من التَّكذيب والتَّشكيك، فنزلت حافلة بما يُسلِّي الرُّسول ﷺ ويُنَبِّتُه، ويرفع منزلته، ويُعلِّي قدره في تلك الفترة الحرجة من حياته ﷺ.

وسورة الكهف هي السُّورة الثَّامنة عشرة في ترتيب المُصحف الشَّريف، وقعت بين سورتي الإسراء ومريم، وعدد آياتها مئة وعشُر

(1) للاستزادة يُنظر: مقاتل، تفسير مقاتل: 2/ 278، والهواري، تفسير كتاب الله العزيز: 3/ 405، وابن الجوزي، زاد المسير: 5/ 112، وأبو حنَّان، البحر المحيط: 6/ 470، والشَّوكاني، فتح القدير: 5/ 345، ودروزة، التفسير الحديث: 3/ 423، والطَّبْطَبائي، اللبزان: 3/ 367.

(2) دروزة، التفسير الحديث: 3/ 423.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 459.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 459.

آيات عند الكوفيّين، ومئة وخمسة آيات عند المدنيّين والمكيّين، ومئة وست آيات عند الشاميّين، ومئة وإحدى عشرة عند البصريّين⁽¹⁾. وترتيبها النُّزوليُّ - عند مَنْ اعتنوا به - : الثامنة والسِّتون⁽²⁾، بعد سورة الغاشية، وقبل سورة النحل.

من فضائل السورة:

وقد ورد في فضلها الكثير من الآثار، من أصحّها: ما رواه البخاريُّ عن عبد الله بن مسعود أنّه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنَّهنَّ من العِتاق الأول وهُنَّ من تِلادي"⁽³⁾، ومنها ما رواه مُسلم عن أبي الدرداء أنّ النَّبيَّ ﷺ قال: "من حفظ عشر آيات من أوّل سورة الكهف عصم من الدّجال"⁽⁴⁾، ولعلَّ السَّبب في ذلك أنّ موضوع السّورة الأساس قد قام على بناء منهجٍ عمليٍّ للوقاية من الفتن، فضلاً عن كون فتنة المسيح الدّجال تُمثّل ذروة الصّراع بين المادّيّة والإيمان وهو المحور النّاطق لآيات السّورة.

أسماء السّورة الكريمة:

سُمّيت السّورة في جميع المصاحف سورة الكهف، ولا يُعرف لها اسمٌ ثابتٌ سواه، وقد ذكر بعضهم أنّها تُسمّى سورة (أصحاب الكهف) لحديث ضعيف⁽⁵⁾ نقله السيوطي⁽⁶⁾ عن ابن مردويه فيما يرويه عن عائشة أمّ المؤمنين: "ألا أخبركم بسورة ملء عظمتها ما بين السّماء والأرض ولكاتبها من الأجر مثل ذلك، ومن قرأها يوم

الاسم المعروف
والشهور لها هو
سورة (الكهف)

(1) الدّاني، البيان في عدّ آتي القرآن، ص: 179.

(2) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 43 / 1، دروزة، التفسير الحديث: 50 / 5.

(3) البخاري، الجامع الصّحيح، كتاب التفسير، باب تأليف القرآن، حديث رقم: (4708)، والعِتاق: جمع عتيق وهو القديم، وكذلك التّالّد بمعنى القديم، ولَرَاد أنّهن نزلن في أوّل ما نزل من القرآن، يُنظر: مكي، الهداية: 352 / 4.

(4) مُسلم، صحيح مُسلم، باب فَضْل سورة الكُفْهِ وآيَةِ الْكُرْسِيِّ، حديث رقم (809).

(5) الألباني، ضعيف الجامع الصغير، ص: 316.

(6) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 193 / 1.

الجمعة غُفِرَ له ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى زيادة ثلاثة أيام، ومن قرأ الخمس الأواخر منها عند نومه بعثه الله أي الليل شاء؟ سورة أصحاب الكهف.

المحاور الرئيسة للسورة:

والمحور الرئيس للسورة يكمن في: العصمة من أمواج الفتن المتلاطمة، فتنة السُلطان، وفتنة الشَّباب، وفتنة المال، وفتنة الولد، والاعتزاز بالدُّنيا الفانية، وفتنة إبليس اللعين، وفتنة العلم، وفتنة يأجوج ومأجوج، وفتنة الأهواء، وتُبَيِّن السَّورة مَعْلَمَ النِّجَاة وكهف الأمان من كُلِّ هذه الفتن باتباع المنهج الربَّاني، والاستعانة بالله واللُّجوء إليه⁽¹⁾.

ولهذا كانت قراءة سورة الكهف نورًا كاشفًا وعلاجًا ناجعًا للفتن جميعها من خلال تصحيح العقيدة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة بميزان الله⁽²⁾، وكان تُمَثِّل القيم الحقيقية في سورة الكهف عقيدة وسلوكًا عصمة من أنواع الدُّجل كُلِّها، وعلى رأسها فتنة المسيح الدَّجَال⁽³⁾.

ويرى بعضُ الباحثين أنَّ الخيط الناظم لآيات السَّورة قائمٌ على العلم؛ فالعلم هو الذي حَفِظَ أصحاب الكَهْفِ على عقيدتهم ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْلَهُمُ هَدَىٰ﴾ [١٣] ﴿الكهف: 13﴾، والعلم هو الذي مَكَّنَ الرَّجُلَ الصَّالِحَ من دعوة صاحب الجنَّتين إلى الحقِّ والعود إلى الصَّواب: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ [٣٧] ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [٣٨] ﴿الكهف: 37-38﴾، وقِصَّة موسى ﷺ مع العبد الصالح قامت على موضوع العلم، وكذا الحال في قِصَّةِ ذي القرنين الذي أكرمه الله تعالى بالعلم: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ [٨٤] ﴿الكهف: 84﴾ ﴿عَاثُوْنِي زُبْرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ عَاثُوْنِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرًا﴾ [٩٦] ﴿الكهف: 96﴾، فالعلم هو الجامع لقصص السَّورة الأربعة.

ويرى بعضهم أنَّ الجامع بين قصص هذه السَّورة هو البناء والهدم؛ ففتية الكهف أوَّأوا إلى ملاذهم الذي كان يمكن أن يهدم عليهم لو قُبِضَ عليهم، ثمَّ شاء الله بعد أن آمن قومهم أن يبنوا عليهم مسجدًا تقديرًا لهم، وصاحب الجنَّتين ابتلي بالهدم بعد كمال

(1) مسلم وآخرون، التفسير للوضوعي لسور القرآن الكريم: 288 / 4.

(2) شحاته، عبد الله، أهداف كلِّ سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، ص: 207.

(3) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير للوضوعي، ص: 190.

البناء والعمران، وموسى ﷺ عاين البناء والهدم في مشاهداته كلها؛ فكلّ هدم رآه كان بناءً في حقيقة الحال، وأمّا ذو القرنين فقد بنى الرّدم علىّ يأجوج ومأجوج ليخلّص النّاس من شرورهم، ولا زال يأجوج ومأجوج ينقرون في سدّهم المقام عليهم حتّى يؤذّن لهم بالخروج عند قيام السّاعة.

وتناول بعضهم سورة الكهف من منظور أنّها حملت منهجاً في البناء والإصلاح، فقد تناولت نماذج إصلاحية فريدة وشاملة، على مستويات: الإصلاح العقديّ، والاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والثّقافيّ، والسّياسيّ.

وتناولها بعضهم على أنّها سورة الدّعوة والدّعاة؛ فقد حظيت بنماذج من الدّعاة الذين أثّرت دعوتهم بغيرهم على كافّة الصّعد ومختلف المجالات، فالفتية دعوا قومهم، والصّاحب دعا صاحبه إلى الحقّ، والعبد الصّالح دعا موسى ﷺ لمتابعته، وذو القرنين دعا الأقاليم لعبادة الله.

والحقيقة أنّه لا يوجد تعارضٌ حقيقيّ بين كلّ ما تقدّم؛ فالسّورة في تناولها للفتن المتنوّعة قد أبرزت القيم الحقيقيّة للأشياء بميزان الحقّ ﷻ لا بموازين البشر، وبيّنت أثر العلم السّليم في الوقاية من ظلمات السُّقوط والفسل، وبيّنت أثر الدّعوة والدّعاة في الوقاية من شرور هذه الفتن، وبيّنت دور الإصلاح والمصلّحين في حفظ الأُمّة على ميزان الحقّ، وبيّنت أنّ بناء الحضارات وازمحلّالها مرهونٌ بالاستقامة على منهاج الله ودينه.

المناسبة بين اسم السّورة وموضوعاتها:

قد تقدّم في الروايات أنّ السّورة تُسمّى "سورة الكهف" وتُسمى "سورة أصحاب الكهف" وفي التّسمية الأولى النّظرُ إلى المكان الذي تمّ اللّجوء إليه لحمايتهم من الفتن التي تعرّض لها الفتية فلجئوا إلى مكان حصين عصمهم من الأعين وحفظ عليهم دينهم وعقائدهم.

الإشارة إلى
عناية الله ﷻ
وحفظه وسيره
فهي كهف أولياء
الله الصّالحين

فلو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى موضوعات السّورة، لوجدنا بين الاسم والموضوعات مناسبة لطيفة، إنّ مَنْ تدبّر الموضوعات المعروضة في هذه السّورة الكريمة ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من الفتن جميعها، كما ذكر ذلك رسول الله ﷺ، فإنّ كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفًا محسوسًا ملموسًا، فإنّ الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السّورة كهف معنويّ من عناية الله ﷻ وحِفْظِهِ وسِتْرِهِ فلا تُؤثّر فيه الفتن المعروضة ولو كانت مثلَ قِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ⁽¹⁾.

فالسّورة ذكرت أهمّ أسباب الفتن في الحياة الدُّنيا، وبيّنت موقف المؤمن منها، وشرعت له أسباب السّلامة والنّجاة بأسلوب القصّة، فكانت في موضوعها موافقة لاسمها كهف السّلامة والأمان⁽²⁾.

وإذا نظرنا إلى الاسم الآخر للسّورة "سورة أصحاب الكهف" نلاحظ أنّ الأشخاص أصحاب العقيدة الحقّة والموقف السّديد هم الملاحظون في التّسمية، فلو نظرنا إلى هؤلاء الفتية: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ۚ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا سَطَطْنَا ۖ﴾ [الكهف: 13 - 14]، نجدهم يُمثّلون موقف المتمسّكين بالقيم الصّحيحة الذين يملكون الميزان الرّبانيّ لقياس الأمور بها، الإيمان، الجرأة في الحقّ، المنطق السّليم، الحُجّة المقنعة، التّضرع إلى الله ﷻ، اتخاذ الأسباب الظّاهرة في مُقارعة الباطل، يعقب كل ذلك العناية الرّبّانية بهم وتسخير جزء من الكون لحمايتهم وحفظهم، ثُمَّ نَصْرُهُ دعوتهم ولو بعد حين، فأصحاب الكهف أنموذج فريد للوقوف في وجه الباطل، وسيرتهم مثال لمن يبتلى ويفتن في دينه، لذا كانت هذه التسمية أيضًا مناسبة للموضوعات في سورة الكهف⁽³⁾.

المَوْضُوعَاتُ الرَّئِيسَةُ لِلسُّورَةِ:

تنوّعت موضوعات هذه السّورة وتعدّدت، ويمكن تقسيم موضوعاتها والآيات التي تناولت تلك الموضوعات في النّقاط الآتية:

(1) مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، ص: 179.

(2) طهماز، محمّد عبد الحميد، العواصم من الفتن في سورة الكهف، ص: 36.

(3) مصطفى مسلم، مباحث في التّفسير الموضوعي، ص: 180.

مَدَارُ الْقَصَصِ
الأربعه في
السورة
والتعقيبات
بينها قائم
على ترسيخ
أصول العقائد
والعصمة من
الفتن

أولاً: الآيات الكريمة من (1 - 8) افتتحت السورة بحمد الله وشكره على نعمة القرآن المنزل على نبيه محمد ﷺ، والذي أَسْم بالاستقامة وَعَدَم العوج؛ ليكون كاشفاً للطريق الصحيح، عاصماً من كُلِّ فتنة لمن اعتصم به، ثُمَّ تبع ذلك البيان لحقيقة الحساب والجزاء لمن أساء وأحسن، مع بيان المنهج الحق في العصمة بالعلم الثابت والإيمان والعمل الصالح، والمنهج الباطل لمن افتتن وجهل وافترى على الله كذباً، ثُمَّ بيان حقيقة هذه الحياة الدنيا بزينتها وزُخرفها من أنها دار اختبار وابتلاء، وذلك عصمة من الوقوع في الفتن والرُسوب في الاختبار.

ثانياً: الآيات الكريمة من (9 - 27) ذكرت قصة أصحاب الكهف، فتية هربوا بدينهم من مجتمع يعج بالوثنية والجور والمادية المتمثلة بالمتع والشهوات، فأووا إلى الكهف، فحدثت لهم معجزة عظيمة تمثلت في نومهم فيه قرابة ثلاثة قرون، فكانت تلك القصة دالة على الاعتصام بالدين في جو اصطبغ بكل مقومات الفتن، فلم يرضخوا إلى ضغوط مجتمعهم، ولم يبالوا بتلك الفتن، بل سارعوا إلى الترفع عن شهوات الدنيا ومتعها، معلنين خضوعهم واستسلامهم واعتصامهم بخالقهم ﷻ.

ثالثاً: الآيات الكريمة من (28 - 31) عَقِبَت على قصة أصحاب الكهف خطاباً للنبي ﷺ، وذلك بأمره بتلاوة الكتاب، وأن يصبر نفسه مع المؤمنين الفقراء، وأن لا يطيع أصحاب الأهواء، ثُمَّ بيان حرية اختيارهم في سلوك طريقي الحق أو الباطل، ثُمَّ بينت جزاء كل من أصحاب الطريقتين.

رابعاً: الآيات الكريمة من (32 - 44) ذكرت قصة صاحب الجنّين الذي آتاه الله كل شيء، فافتتن بماله وبنيه، فكفر بأنعم الله وأنكر البعث، فأهلك الله تعالى جنّيته.

خامسًا: الآيات (45 - 46) صَرَبْنَا مثلاً للحياة الدنيا إزاء الآخرة، وَبَيَّنَّا أَنَّ الأموال والبنين زينة الحياة الدنيا، وَلَكِنَّ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ.

سادسًا: الآيات الكريمة من (47 - 59) عرضت لبعض مشاهد يوم القيامة في سياق تهديد المغرورين بفتن الحياة الدنيا وزوال زينتها وبيان مآلهم فيها، ثُمَّ تَحَدَّثَتِ الْآيَاتُ عَنْ أَصْلِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ وَالزَّيْنَةِ وَالْغَوَايَةِ وَاتَّخَاذِ صَاحِبِهَا عَدُوًّا، فَذَكَرَتْ الْآيَاتُ مَشْهَدًا سَرِيعًا مِنْ قِصَّةِ آدَمَ ﷺ صَوَّرَ تَمَرُّدَ إِبْلِيسَ عَلَى رَبِّهِ بِعَدَمِ طَاعَتِهِ وَامْتِثَالِ أَمْرِهِ فِي السُّجُودِ، فَافْتَنَّ إِبْلِيسَ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَعْصِمْهَا مِنَ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ إِبْلِيسَ وَفْتَنَتُهُ إِلَّا كَيْدًا ضَعِيفًا، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شُهُودِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَضْلًا عَنْ خَلْقِهِمَا.

سابعًا: الآيات الكريمة من (60 - 82) عرضت قِصَّةَ مُوسَى ﷺ مَعَ الْخَضِرِ، وَكَانَ مُوسَى ﷺ قَدْ ظَنَّ أَنَّه أَعْلَمُ أَهْلَ الْأَرْضِ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِأَنْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَذَهَبَ لِلْقَائِهِ وَالتَّلَعُّمِ مِنْهُ، فَلَمْ يَصْبِرْ عَلَى مَا فَعَلَهُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكِ الْحِكْمَةَ فِي أَفْعَالِهِ وَإِنَّمَا أَخَذَ بِظَاهِرِهَا فَقَطْ، فَجَاءَتْ تِلْكَ الْقِصَّةُ لِتُبَيِّنَ الْعِصْمَةَ مِنْ فِتْنَةِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُّعِ وَعَدَمِ الْغُرُورِ بِالْعِلْمِ.

ثامنًا: الآيات الكريمة من (83 - 98) عرضت قِصَّةَ ذِي الْقَرْنَيْنِ الَّذِي كَانَ حَاكِمًا عَادِلًا يَمْتَلِكُ الْعِلْمَ، وَيَنْتَقِلُ مِنْ مَشْرِقِ الْأَرْضِ إِلَى مَغْرِبِهَا، وَيُعِينُ النَّاسَ، وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ، وَيَنْشُرُ الْخَيْرَ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَوْمٍ خَائِفِينَ مِنْ هُجُومِ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ، فَأَعَانَهُمْ عَلَى بِنَاءِ سَدٍّ لِمَنْعِهِمْ عَنْهُمْ، فَمَنَعَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ صَاحِبَ السُّلْطَةِ وَالْقُوَّةِ الظُّلْمَ عَنْهُمْ، وَلَمْ تَغْرِهُ السُّلْطَةُ لِاسْتِبَاحَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَلَمْ يَدْخُلْهُ الْغُرُورُ وَالطَّيْشُ لِاسْتِيلَائِهِ عَلَى مُقَدَّرَاتِ الْأَرْضِ، فَكَانَتِ الْعِصْمَةُ لَهُ مِنْ فِتْنَةِ السُّلْطَةِ بِالتَّجَاهِ إِلَى اللَّهِ وَتَذَكُّرِ الْآخِرَةِ، وَالْإِخْلَاصِ لَهُ ﷺ فِي الْأَعْمَالِ، فَكَانَ الْحَاكِمُ الْعَادِلُ أُنْمُوذَجًا لِلْعِصْمَةِ مِنْ فِتْنَةِ السُّلْطَةِ وَتَسْخِيرِهَا لِلْوَجْهِ السَّلِيمَةِ.

تاسعًا: الآيات الكريمة من (99 - 108) عرضت مشاهد الحشر يوم القيامة، حيث يَجْمَعُ اللَّهُ الْكُلَّ لِلْحِسَابِ بِلَا اسْتِثْنَاءٍ، فَهُوَ الْيَوْمَ الَّذِي تَتَمَحَّصُ فِيهِ الْحَقَائِقُ، وَهُوَ خَاتِمَةُ الْحِسَابِ لِمَنْ عُصِمَ مِنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَزَلْ فِيهِ قَدَمُهُ، فَأَمَّا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ غَشِيَتْ قُلُوبُهُمُ الْفِتْنُ، وَغَطَّتْ عَيُونُهُمُ الْحُجُبُ، فَجَهَنَّمَ مَصِيرَهُمْ تَعَرَّضَ لَهُمْ عَرْضًا، فَكَانَتْ مَوَازِينُهُمْ

مغلوبة خاسرة، فضلوا فلم يحسنوا صنعا، فكان الجزاء من جنس العمل أن ليس لهم في الآخرة وزنٌ، وأمّا المؤمنون فقد عصموا أنفسهم من الفتن بالإيمان والعمل الصالح، فكانت لهم الجنة خالدين فيها لا يتحولون عنها جزاء ثباتهم وتمسكهم واعتصامهم بجبل الله المتين.

عاشراً: ثمّ كان الختام بالآيتين (109 - 110) ببيان المنهج العاصم من الفتن، - كما البدء - وهو التمسك بوحى القرآن وما حضّ عليه من العمل الصالح والإخلاص له سبحانه بتوحيده ونبد الشريك معه.

بيان المناسبة بين السورة وسابقتها ولحققتها:

جاءت هذه السورة في الترتيب المصحفي بعد سورة الإسراء، وقد تلمّس وجه اتصالهما الإمام البقاعي بقوله: لما خُتمت الإسراء بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدأت هذه السورة بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، مُنبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجزَ عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة والكمال، والتنزه والجلال، فقال مُلقناً لعباده حمده، مُعلماً لهم كيف يثنون عليه، مفتحاً لهم في اختلاف العبارات باختلاف المقامات ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف: 1].⁽¹⁾

يقول أبو حيّان: "ومناسبة أول سورة الكهف لآخر ما قبلها أنّه لما قال ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: 105] وذكر المؤمنين به أهل

(1) البقاعي، نظم الدرر: 2/12.

السورة متصلة
تماماً بسورتي
الإسراء ومريم
مضموناً
وأسلوباً

الْعِلْمَ وَأَنَّهُ يُزِيدُهُمْ خُشُوعًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَمْرَ بِالْحَمْدِ لَهُ وَأَنَّهُ لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، أَمْرُهُ تَعَالَى بِحَمْدِهِ عَلَى أَنْزَالِ هَذَا الْكِتَابِ السَّالِمِ مِنَ الْعِوَجِ، الْقِيَمِ عَلَى كُلِّ الْكُتُبِ، الْمُنْذِرِ مَنِ اتَّخَذَ وَلَدًا، الْمُبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَجْرِ الْحَسَنِ، ثُمَّ اسْتَطَرَدَ إِلَى حَدِيثِ كَفَّارِ قُرَيْشٍ وَالتَّفَتِّ مِنْ الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ وَكِبَرُهُ تَكْبِيرًا إِلَى الْغَيْبَةِ فِي قَوْلِهِ ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الكهف: 1] لِمَا فِي عَبْدِهِ مِنَ الْإِضَافَةِ الْمُقْتَضِيَةِ تَشْرِيفَهُ (1).

وذكروا في ارتباطها بسورة الإسراء وجوهرًا أخرى منها:

أَوَّلًا: أَنَّ سورة الإسراءِ افْتُتِحَتْ بِالتَّسْبِيحِ، وَالْكَهْفِ بِالتَّحْمِيدِ، وَهُمَا مُقْتَرَنَانِ فِي سَائِرِ الْكَلَامِ فِي نَحْوِ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ [النصر: 3].

ثَانِيًا: تَشَابَهَ خَتَامِ الْإِسْرَاءِ وَافْتِتَاحِ الْكَهْفِ، فَإِنَّ فِي كُلِّ مِنْهُمَا حَمْدًا.

ثَالِثًا: أَنَّهُ جَاءَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: 104] ثُمَّ فَصَّلَ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: 98] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ [الكهف: 100] (2).

وَالْأَهَمُّ مِنْ كُلِّ تِلْكَ الْوُجُوهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي ذَكَرُوهَا أَنَّ كِلْتَا السُّورَتَيْنِ اعْتَمَدَتَا بِتَسْلِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّسْرِيَةِ عَنْ قَلْبِهِ، وَكِلْتَاهُمَا نَزَلَ بِأَوْقَاتٍ اشْتَدَّتْ فِيهَا الْحَاجَةُ إِلَى رَفْعِ مَعْنَوِيَّتِهِ ﷺ وَتَوَجُّيْهِهِ فِي كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ خُصُومِ هَذَا الدِّينِ وَأَعْدَائِهِ.

أَمَّا عَنْ صَلَاتِهَا بِسُورَةِ مَرْيَمَ بَعْدَهَا، فَإِنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ضَمَّنَ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ قَصَصًا عَجَبًا كَقِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَقِصَّةِ مُوسَى مَعَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ، وَقِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، ضَمَّنَ سُورَةَ مَرْيَمَ أَيْضًا قَصَصًا عَجَبًا مِنْ وَلَادَةِ يَحْيَى بَيْنَ شَيْخٍ فَانٍ وَعَجُوزٍ عَاقِرٍ، وَوَلَادَةِ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبِي، فَلَمَّا اجْتَمَعَا فِي هَذَا الشَّيْءِ الْمُسْتَعْرَبِ نَاسَبَ ذِكْرُ هَذِهِ السُّورَةِ بَعْدَ تِلْكَ (3).

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ السُّورَتَيْنِ تَشْتَرِكَانِ كَذَلِكَ فِي إِثْبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى وَنَفْيِ الشَّرِّكَ وَالْوَلَدِ عَنْهُ: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: 35]، ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ

(1) أَبُو حَيَّان، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: 7 / 135.

(2) الدِّرَافِي، تَفْسِيرُ الدِّرَافِي: 15 / 113.

(3) أَبُو حَيَّان، الْبَحْرُ الْمُحِيطُ: 7 / 237.

بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ [مريم: 81 - 82]، وكذلك في تناول البعث: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ
أَعَدَّا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾﴾

[مريم: 66 - 67] .

فَضْلًا عن اشتراكهما في بعض الحوارات والمَشَاهِد القصصِيَّة المُرتبطة بمحاورهما
الخاصَّة.

الخصائص الأسلوبية والموضوعية لسورة الكهف:

أولاً: موضوعاً:

تفرَّدت سورة الكهف بذكر ثلاث قصص لم تتكرَّر في أيِّ سورة أخرى، ومشهدٍ من
قِصَّة موسى ﷺ لم يتكرَّر ذكره في موضع آخر، حيث عرضت السُّورة لقِصَّة أصحاب
الكهف، وقِصَّة صاحب الجنَّتَيْنِ، وقِصَّة ذي القرنين، وهذه القصص لم تُذكر لها أي
إشارة في سور أخرى، أمَّا قِصَّة موسى ﷺ فتفرَّدت في ذِكْرِها في جانب التَّعليم والتَّلمُّذ
على العبد الصالح ﷺ، وفي تلك القصص ودلائلها ما يصبُّ مُباشرة في محور السُّورة.
وقد تميَّزت السُّورة الكريمة بِذِكْرِ القيم الصَّحيحة والقيم الزَّائفة في كُلِّ مَقَاطِعِهَا،
وفي ذلك دلالة على العصمة من الفتن، ففي قِصَّة أصحاب الكهف، تمثَّلت القيمُ
الصَّحيحة بموقف أصحاب الكهف من الإيمان ورفضهم ضغوط قومهم عليهم، وتمثَّلت
القيم الزَّائفة بموقف القوم الذين أشركوا مع الله إلهاً آخر، وفي قِصَّة صاحب الجنَّتَيْنِ
تمثَّلت القيم بيِّن من آمن بالله فلم تغرَّهُ المادِّيَّات، وبيِّن من كفر فأبطرته النُّعمة وتكبَّر، وفي
قِصَّة موسى والعبد الصالح تعليم للقيم الصَّحيحة في التَّواضع، وفي قِصَّة ذي القرنين
تمثَّلت للقيم الصَّحيحة في توجيه السُّلطة الوجهة السَّليمة والإصلاح في الأرض، وذلك
في مُقابل القيم الزَّائفة من إفساد يأجوج ومأجوج، وكذا دور المؤمنين من اتخاذ معايير
القيم الصَّحيحة من إيمانٍ وعملٍ صالح في مُقابل معايير القيم الزَّائفة لدى الكافرين⁽¹⁾.
وظهر في أثناء ذلك كُلُّه دَوْر الرُّعاية والعناية الإلهيَّة بعباده أثناء مُقارعتهم
ومواجهتهم للفتن، ففي الكهف الذي أوى إليه الفتية لجوءٍ ورعايةٍ لهم من فتنة الدِّين،

(1) مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص: 189 - 330.

وفي إنزال الطمأنينة والربط على القلوب عناية ووقاية لهم، وكذا الحماية لهم والحفظ بالشمس ومن الشمس والتقلب حتى يحسبهم الرائي أيقاظاً، وفي قصة صاحب الجنّين حفظ ورعاية للصاحب المؤمن من أن يفتن بما أوتي صاحب الجنّين، وفي قصة موسى والعبد الصالح الرعاية بالمساكين، وباليتيمين، وبالوالدين من أن يتضرروا أو يفتنوا، وفي قصة ذي القرنين الرعاية للمظلومين من فساد يأجوج ومأجوج، وفي ذلك كله دلالة على معية الله ﷻ لعباده ووقايتهم وعدم تركهم دون ناصر أو معين.

ومازت هذه السورة كغيرها من السور المكيّة في تناولها لوظائف القرآن الكريم وميزاته، فقد قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ قِيمًا لِنُذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّا كَثِيرٌ فِيهِ أَرْبَابًا ۝ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝﴾ [الكهف: 54]، وختمت بقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝﴾ [الكهف: 109].

وتميّزت السورة الكريمة أيضاً، بأن قصصها ومشاهدها قامت على ذكر الغيبيّات، فعدد الفتية غيب، ومدة لبثهم غيب، والفجوة في الكهف غيب، وقصة العبد الصالح مع موسى ﷺ قامت على عدم قدرته على إدراك المغيبيّات، وأمر ذي القرنين غيب، وتفاصيل أمر يأجوج ومأجوج غيب، وذكر تفاصيل الآخرة لكلا الفريقين غيب، وفي هذا دلالة على أن في الكون أشياء لا ندرکها بالعين المجردة ولا نفهمها، ولكن الله تعالى يدبر بقدرته في الكون، وعليّنا أن نؤمن بها حتى لو لم نرها أو نفهمها، وإنّما نسلم بغيب الله تعالى، وفي ذلك دلالة على أن الإيمان بالغيب والتسليم له سبحانه من مقومات العصمة من الفتن.

وقد أكّدت السورة الكريمة على ضرورة العمل الصالح والإحسان فيه والمحاسبة عليه في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وقال تعالى: ﴿لَتَبْلُوَهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [الكهف: 7]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝﴾ [الكهف: 30]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۝﴾ [الكهف: 49]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ﴾

[الكهف: 88]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۚ﴾ [الكهف: 107]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]، وفي كُلِّ ذلك دلالة على أَنَّ العمل الصَّالح والإحسان فيه مقوِّم من مقوِّمات العصمة من الفتن.

ثانيًا: أسلوبًا:

تميّزت السُّورة الكريمة بأسلوب البَدء بالحمد الدَّالُّ على الاستغراق بالتعريف والمصدر، وهي إحدى خمس سور بدأت بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إضافة إلى (الفاتحة، الأنعام، سبأ، فاطر)، وفي ذاك البَدء دلالة على عِظَم نعمة الله على عباده في إرشادهم وبيان ما يعتصمون به من هَدْيِ الْقُرْآن لِلنَّجَاةِ مِنَ الْفِتَنِ.

وقد تميّزت السُّورة الكريمة بأسلوب الحوار والمُقابلة في الحديث، فذكرت (قال) ومُشتقاتها ثلاثًا وثلاثين مرَّةً، و(السُّؤال) أربع مرَّات، و(الحوار) مرَّتين، و(الجدل) مرَّتين، و(المراء) مرَّتين، حيث نجدُ الحِوَارَ بارزًا في القصص الأربعة المذكورة، وهذا بيان وإظهار لأبعاد الشَّخصيات في القِصَّة، والتي قد لا تظهر بالسَّرْد والوصف وحده، خاصَّةً فيما يتعلَّق بالحالة النَّفْسِيَّة العميقة، وفيما يتعلَّق بالسَّبِيل الأفضل للتَّعليم والتَّعلُّم؛ لذا قرَّرت السُّورة محورها من خلال هذا الأسلوب العميق الذي يَسْبُرُ أغوار النَّفْس للوصول إلى برِّ الأمان من تلك الفتن.

وتميَّزت السُّورة الكريمة أيضًا، بوحدة الفاصلة، التي اختصَّت بحركة (الفتح) المُتحوِّلة إلى (الألف المديَّة) مِمَّا يُحدِث في النَّفْس اطمئنانًا وراحة نفسيَّة، فهذه الرَّاحة النَّفْسِيَّة تجمع في ثناياها لطف الله وعنايته ورعايته بعباده في التَّخلُّص من الفتن، فتبعث على التَّثبيت للقلب، بما احتوته السُّورة الكريمة من تأكيد مقوِّمات العصمة من الفتن، فتكون تلك الفواصل لها علاقة بمحور السُّورة.

وأخيرًا، فقد حظيت السُّورة الكريمة بألفاظ تفردت بها عن غيرها من السُّور من جهة الجذر والمادَّة؛ وهذه الألفاظ هي: ﴿الْكُهْفُ﴾ [الكهف: 9] ﴿فَجَوْهٌ﴾ [الكهف: 17] و﴿أَيْقَاطًا﴾

[الكهف: 18] و﴿سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29] و﴿تَبِيدَ﴾ [الكهف: 35] و﴿مَوِيلًا﴾ [الكهف: 58] و﴿يَنْقُضُ﴾ [الكهف: 77]

و﴿أَعْيَبَهَا﴾ [الكهف: 79] و﴿غَضَبًا﴾ [الكهف: 79] و﴿رَذْمًا﴾ [الكهف: 95].

وإنَّ الجامع لهذه الألفاظ أنَّها ذات اتِّصال مُباشر بمحور السَّورة (العواصم من الفتن)، فاللفظ الأوَّل ﴿الْكَهْفِ﴾ [الكهف: 9] كان اسمًا للمَلجأ الآمن والحرز العتيد والملاذ الحصين للمؤمن من الفتن، وكذا اللفظ العاشر ﴿رَدْمًا ٩٥﴾ [الكهف: 95] كان اسمًا للسَّدِّ المنيع والحصن المتين، وما بينهما من الألفاظ الثَّمانيَّة اتَّسمت بالرَّعاية والعناية الكاملة خلال الصِّراع الذي تخلَّل وجود المؤمن في الفتن، فتارة نرى فيها جانب العصمة للمؤمن والنَّجاة له من الفتن، كما في ﴿فَجْوةَ﴾ [الكهف: 17] و﴿أَيَقَاطًا﴾ [الكهف: 18] و﴿يَنْقَضُ﴾ [الكهف: 77] و﴿أَعْيَبَهَا﴾ [الكهف: 79]، وتارة أخرى نرى قَصْفًا وقصمًا للكافر الذي لم ينج من الفتن نُصرة وعصمة للمؤمن، كما في ﴿سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29] و﴿تَبِيدَ﴾ [الكهف: 35] و﴿مَوِيلًا ٥٨﴾ [الكهف: 58] و﴿عَصَبًا ٧٩﴾ [الكهف: 79]، فسُبْحان من أنزل الكتاب مُعْجَزًا دَقِيقًا بليغًا في ألفاظه.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-26-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»